لقد عبر سموتس ووايزمان عن قدرة الحضارة الغربية على عقلنة دوافعها في السيطرة والاستغلال والاحتلال بعبارات مسيحية ـ حضارية ، وانتاج عرقي يهودي ـ مسيحي (١٥)٠»

لقد كان اكتشاف الماس (١٨٦٧) والذهب (١٨٨٦) في جنوب افريقيا ، مبررا جديدا للوجود البريطاني هناك ٠ بالاضافة الى ذريعة مراقبة منطقة رأس الرجاء الصالح ، طريق الهند البحرية ٠ وكان من نتائج تدفق المستوطنين الجديد ، والتوسع السريع للشركات ، نشوب صدام مع البوير * ٠ وقد وصل الصراع الى ذروته في حرب البوير التي نشبت في نهاية القرن الماضي ٠ الا ان هذا الخلاف الطارىء ، وجد حله في دستور اتحاد جنوب افريقيا الذي صدر عام ١٩١٠ ، وجمع ، داخل اطار الكومنولث ، الطائفتين الاوروبيتين حول هدف مشترك : **جعل افريقيا الجنوبية بيضاء** ٠

والحجج الحضارية ، تظهر واضحة في هذا الكلام للجنرال سموتس : « لقد اقام حوالي نصف مليون ابيض على الطرف الجنوبي من قارة شاسعة يسكنها اكثر من مئة مليون همجي ٠ وذلك ، ليس من أجل تحقيق قدرهم الخاص فقط ، بل ايضا ، من أجل رفع هذا الثقل الميت من الهمجية التي تعود الى ما قبل التاريخ نحو انوار وبركات الحضارة المنظمة ٠ واذا لم يرص الجنس الابيض صفوفه في هذا البلد ، فسيصبح الوضع لا يطاق في مواجهة اكثرية ساحقة من الهمج (١٦) » ٠

في الوقت الذي كانت تجري فيه العملية الاستيطانية في جنوب افريقيا ، كان الزعماء الصهاينة يتابعون جهودهم من اجل ايجاد رعاية اوروبية لمشروعهم ٠ يقول غولدمان : « لقد كانت الحركة الصهيونية تسعى الى هدفين : ـ بث الايديولوجيا في اوساط الشعب اليهودي واستقطاب اكثريته الى جانبها ٠ ـ اثارة تعاطف الدول الكبرى من اجل الحصول على تأييدها في تشييد الدولة اليهودية (١٧) » ٠

ومنذ عام ١٩٠٠ ، وبعد محاولات فاشلة مع تركيا والمانيا في ظل نظام غليوم الثاني ، قررت الحركة الصهيونية التوجه نحو بريطانية العظمى ٠ وبريطانية لها مصالح متعددة في منطقة الشرق الاوسط : فهي تشرف على قناة السويس منذ عام ١٨٦٧ وهي حريصة على ابقاء هذا الممر البحري تحت سيطرتها ٠ كما انها تملك منذ عام ١٩١٤ معظم اسهم الشركة النفطية التركية التي تملك جميع اسهم الشركات الاوروبية ٠ وبازدياد تفكك السلطنة العثمانية ، يزداد الطمع في الاستيلاء على فلسطين ٠

كانت خطوات الزعماء الصهاينة ضمن هذا السياق ٠ فبعد ان تكلم هرتزل عن «دولة خاصة باليهود » ، اشار الى « القلعة الاوروبية المتقدمة في مواجهة البربرية » ٠ ردد وايزمن هذه المفاهيم امام الحكام في لندن : « فلسطين اليهودية هي ضمانة لانجلترة ، خاصة فيما يتعلق بقناة السويس (١٨) » ٠ وبعد مساومات لا تحصى ، توصلوا الى الحصول على وعد بلفور الذي شكل الاساس الشرعي للاستيطان في فلسطين ٠ وهنا ، كما في جنوب افريقيا ، لا يذكر السكان الاصليون ٠ وقد اعلن اللورد بلفور في مذكرة قدمها في مؤتمر باريس (آب ١٩١٩) : « في فلسطين ، لا نطرح على انفسنا مسألة استشارة اهل البلاد الاصليين ٠ فالصهيونية ، أكانت على خطأ او صواب ، هي اكثر اهمية من رغبات ٧٠٠ الف عربي يقيمون في فلسطين ٠ وهي اكثر اهمية من الخسائر التي يمكن ان يتكبدها هؤلاء العرب (١٩) » ٠

(*) **البوير** هم أحفاد الهولنديين والالمان والفرنسيين الذين استوطنوا تلك الارض بين ١٦٥٢ و ١٦٥٨ ٠ وقد تبعهم فيما بعد اليهود والايطاليون والبرتغاليون ٠